الباب الخامس

ذكر مدينة جنى ونبذة من أخبارها

وهى مدينة عظيمة [1] ميمونة مباركة سعة وبركة ورحمة ، جعل اللهُ ذلك فى أرضها خلقاً وجبلة ، وطبيعة أهلها التراحم والتعاطف والمواساة ، ولكن المنافسة على الدنيا كانت من أخلاقهم جداً بجد إذا زادت لأحدهم جاه بينهم أجمعوا على بغضه من غير أن يظهروه له ، ولا يتبين إلا إذا وقع من صروف الزمان والعياذ بالله .

فساعتئذ يُبدى كلُّ واحد ما عنده من القول البغيض وفعله ، وهى سوق عظيم من أسواق المسلمين وفيها يلتقي أرباب الملح من معدن تفاز ، وأرباب الذهب من معدن بيط ، وكلا المعدنين المباركين ما كانت مثلهما فى الدنيا كلها ، فوجد الناسُ بركتها فى التجارة إليها كثيراً ، وجمعوا فيها من الأموال ما لا يُحصيه إلا الله سبحانه .

ومن أجل هذه المدينة المباركة تأتى الرفاق من جميع الآفاق إلى تنبكت شرقها وغربها يمينها وشمالها ، وهى لتنبكت فى وراء البحرين بين المغرب واليمين فى جزيرة البحر متى فاض ومتى رجع تباعد عنها الماءُ والوقت الذى تحيط فيها من أغشت [2] والذى تباعد منها فى فبراير .

(بناء مدينة جنى)

أصل بنائها موضع يُقال له زبر ، ثم ارتحلوا منها إلى المكان الذى هى له اليوم ، والموضع الأول بقُربها من جهة اليمين وهى محيطة بالسور ، ولها إحدى عشر باباً ، ثم سدوا الثلاثة ، فبقى على ثمانية أبواب ، وإذا كنت بعيداً عنها من خارج لا تحسبها إلا غابة من كثرة الأشجار فيها وإذ دخلت فيها كلها ما فيها شجرة واحدة . ابتدأت فى الكفر فى أواسط القرن الثانى من الهجرة النبوية على صاحبها أفضل الصلاة والسلام.

---

(١) كانت تُعرف مدينة جنى بلقب لؤلؤة النيجر ، وهى تقع على ضفاف نهر النيجر ، وكانت تنافس مدينة تنبكت فى التجارة ، والعلوم . وتقع فى منطقة منخفضة مما يُعرِّضها لخطر فيضان النهر .

(٢) أغشت : شهر أغسطس .

(دخول الإسلام مدينة جنى)

ثم أسلموا عند تمام القرن السادس ، والسلطان كنبر هو الذى أسلم ، وأسلم أهلها بإسلامه ، ولما عزم على الدخول فى الإسلام أمر بحشر جميع العلماء الذين كانوا فى أرض المدينة ، فحصل منهم أربعة آلاف ، ومائتا عالم ، فأسلم على أيديهم وأمرهم بأن يدعوا الله تعالى بثلاث دعوات لمدينته تلك .

وهى : إن كل من هرب إليها من وطنه ضيقاً وعسراً أن يبدلها الله له سعة ويُسراً حتى ينسى وطنه ذلك ، وأن يعمرها بغير أهلها أكثر من أهلها ، وأن يسلب الصبر من الواردين إليها للتجارة حتى فى ذات أيديهم ، لكى يملُّوا منها فيبيعونها لأهلها بناقص الثمن فيربحون بها ، فقرأوا الفاتحة على هذه الدعوات الثلاث فكانت مقبولة، وهى كائنة الآن بالمشاهدة والمعاينة .

ولما أسلم ، خرب دار السلطنة وحوَّلها مسجداً لله تعالى ، وهو الجامع وأنشأ الأخرى لسُكناهم ، وهى فى مجاورة الجامع من جهة المشرق . وأرضها منعمة عامرة بالأسواق فى أيام الأسبوع كلها . وقيل : إن فى ذلك الأرض سبعة آلاف قرية ، وسبعة وسبعين قرية متقاربة بعضها إلى بعض .

وكفاك فى التقارب أن السلطان إذا احتاج إلى حضور منْ كان بقُرْب البحر دبَّ فى قريته خرج الرسول إلى باب السور فنادى الذى يريد حضوره ، فيُمشى الناس النداء له من قرية إلى قرية ، فتبلغه فى الساعة ويحضر ، وكفى بهذه عمارة ، وحد أرضها عرضاً من كيكى قرية فى قرب بحر دب من جهة اليمين إلى يو بلد فى مجاورة أرض ورن كى طولاً من تينى بلد فى حد أرض سلطان كابر إلى وراء جبال تنبلا قبيلة من قبائل المجوسين كثيراً جداً .

وللسلطان اثنا عشر أمراء الأجناد فى جهة المغرب فى أرض سنا لا يرصدون إلا غزو ملى كى ، ويقاتلون جنده متى جاؤوا بلا استئذان السلطان منهم يوس وسناسر وماتغ وكرمو وغيرهم وسن فرن [1] هو رئيسهم ، وكذلك له اثنا عشر أمراء الأجناد أيضاً فى جهة المشرق وراء البحر من ناحية تنلى .

---

(١) فرن : لقب يُطلق على حاكم المدينة الصغيرة .

ولما تُوفِّى السلطان كنبر رحمه الله تعالى الذى فى السلطنة فهو الذى جعل الأبـراج على الجامع ، والذى خلف هذا هو الذى بنـى الـسور الـذى يـدور بالجـامع ، وأمـا سلطان آدم ، فهو أفضل سلاطينهم .

(نهاية مدينة جنى)

ومن حين كانت المدينة ما غلب أحد ، أهلها مـن الملـوك إلا سـن عـلى ، وهـو الذى طوَّعهم وملكهم بعد ما حاصرهم فى تلك المدينة سبع سـنين وسـبعة أشـهر وسبعة أيام على ما قال أهلها ، ومحلته فى زبر يقاتلونهم كـل يـوم حتـى يـدور بهـم البحرُ فيرتحل بجيشه إلى موضع يُقال له تيكه شن ، سُميتْ بذلك لأجل مُكثه فيها فيمكثون هنالك ، ويحرثون إلى أنْ ييبس الماءُ فيرجعـون إلى زبـر للمقاتلـة ، وهـم كذلك إلى العدد المذكور من الأعوام ، فحدَّثني به الـسلطان عبـد الله بـن أبي بكـر حتى وقعت المجاعة ونقصت قوتهم . ومع ذلك يُكابرون بحيث لم يعلم سـن عـلى فى أحوالهم شيئاً ، فعمل وعزم على الرجوع إلى سغى .

فبعث له واحد من كبراء جيش سلطان جنـى ، قيـل : هـو جـدانس مـان سرى محمد، فأخبره بأسرارهم ومنعه عن الرجوع حتى يرى ما يؤول إليه أمرهم ، فصبروا وزاد فى الحرص ، ثم شـاور الـسلطان قيـاده وكـبراء جيـشه فى التـسليم لـسن عـلى فوافقوه على ذلك .

فبعث المرسول إليه بذلك فأنعم وقبلَ ، ثم خرج إليه مع كبراء جيشه ، فلـما قـرب إليه نزل ومشى إليه برجْله فلقيه بالترحيب والإكرام ، فلما رآه شاباً حديث السن قبضه وأجلسه إلى جانبه فوق بساطه ، فقام المقاتلة مع الولد فى هذا الزمن كله فأخبره خُدامه أن والده مات فى أثناء الفتنة ، فخلفه فى السلطنة ، هذا هو الـسبب فى مجالـسة سـلطان سغى مع سلطان جنى على بساط واحد إلى الآن .

فخطب منه أمه وتزوَّجه قـال لى الـسلطان عبـد الله : هـذا الـزواج هـو الـذى زاد السبعة الأيام على العدد المذكور ، فبعث سن على حصان سرجه لركـوب زوجتـه إليـه فى المحلة ، فلما وصلته ردَّ الحصان لسلطان جنى عطية مع جميع آلائه ، وهُنَّ عند أهل جنى إلى الآن .

فارتحل راجعاً إلى سغى مع زوجته ، وحدَّثنى بعضُ الإخوان أنه سمع ولىَّ الله تعالى الفقيه محمد عريان الراس رحمه الله تعالى ، ونفعنا ببركاته يقول : حاصر سن على مدينة جنى أربع سنين ، فما نال من أهلها نيلاً ، وما ذلك إلا أن الخلفاء الأربعة أبا بكر وعمر وعثمان وعلياً رضى الله عنهم أجمعين يحرسون تلك المدينة ، كلُّ واحد على رُكن من أركانها الأربعة ، إلا ليلة واحدة ظلم واحدٌ من كبراء الجيش مسكيناً ظلماً فاحشاً ، فسلموا فى المدينة ، وفى غدها فتحها سُنّ على وملكها وفعل بها ما شاء .

وقال الشيخ المذكور : إن أرباب القلوب الذين ينظرون بنور الله كائنون فى هذا الإقليم يومئذ ، إن ذلك الظلم الذى ارتكبه ذلك الجيشى هو أن واحداً ضعيفاً مسكيناً غصب منه زوجته ، واصطفاها لنفسه وغلب عليها بالفحشاء والعياذ بالله . ولذلك عاقب اللهُ الجميع وسلب منهم مُلكهم ورأيت فى خط بعض المُعتبرين من ليله أن سن على أقام بجنى عاماً واحداً وشهراً واحداً ، ولم يبين أنه من هذه المرة أو من مرة أخرى .